

تفسير ابن كثير

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَاوَاتٍ يَتَّبِعُونَهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ^ج إِنْ
الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ^ج أَمْرًا أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ^ج ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ

ثم بين لهما أن التي يعبدونها ويسمونها آلهة ، إنما هو جهل منهم ، وتسمية من تلقاء أنفسهم ، تلقاها خلفهم عن سلفهم ، وليس لذلك مستند من عند الله؛ ولهذا قال : (ما أنزل الله بها من سلطان) أي : حجة ولا برهان . ثم أخبرهم أن الحكم والتصرف والمشئنة والملك كله الله ، وقد أمر عباده قاطبة ألا يعبدوا إلا إياه ، ثم قال : ذلك الدين القيم أي : هذا الذي أدعوكم إليه من توحيد الله ، وإخلاص العمل له ، هو الدين المستقيم ، الذي أمر الله به وأنزل به الحجة والبرهان الذي يحبه ويرضاه ، (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي : فلماذا كان أكثرهم مشركين . (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) [يوسف : 103

[وقد قال ابن جريج : إنما عدل بهم يوسف عن تعبير الرؤيا إلى هذا ، لأنه عرف أنها

ضارة لأحدهما ، فأحب أن يشغلها بغير ذلك ، لئلا يعاودوه فيها ، فعاودوه ، فأعاد عليهم

الموعظة. وفي هذا الذي قاله نظر؛ لأنه قد وعدهما أولاً بتعبيرها ولكن جعل سؤالهما له على وجه التعظيم والاحترام وصلة وسبباً إلى دعائهما إلى التوحيد والإسلام ، لما رأى في سجيتهما من قبول الخير والإقبال عليه ، والإنصات إليه ، ولهذا لما فرغ من دعوتهما ، شرع في تعبير رؤياهما ، من غير تكرار سؤال فقال :